

أضواء البيان

@ 363 @ .

وهذه الآية بقسميها جاء نظيرها بقسميها أصرح من ذلك في قوله تعالى { وَيُنذِرَ لُوعَلَايِكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّيُطَاطَهُنَّ رِجْلُكُمْ بِهِ وَيُنذِرَ لَكُم رِجْلَ الشَّيْطَانِ } و□ تعالى أعلم . .
وقد جعل الشافعي هذه الآية دليلاً على الطهارة للصلاة . قوله تعالى : { فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ الْكَافِرِينَ غَيْرٌ } . الناقور هو الصور ، وأصل الناقور الصوت ، وقوله : { يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرٌ } . .
وقيل : عسير وغير يسير على الكافرين . .

وقال الزمخشري : إن غير يسير كان يكفي عنها يوم عسير ، إلا أنه ليبين لهم أن عسره لا يرجى تيسيره ، كعسر الدنيا ، وأن فيه زيادة وعيد للكافرين . .
ونوع بشارة للمؤمنين لسهولته عليهم ، ولعل المعنيين مستقلان ، وأن قوله تعالى : { يَوْمٌ عَسِيرٌ } هذا كلام مستقل وصف لهذا اليوم ، وبيان للجميع شدة هولته ، كما جاء في وصفه في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كُمْ إِنَّ زَلْزَلَةً السَّاعَةِ شَدِيدَةٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَا يَأْكُلُونَ } . .
والمثل قوله تعالى { يَوْمٌ عَسِيرٌ } . .

ثم بين تعالى أن اليوم العسير أنه على الكافرين غير يسير ، كما قال تعالى عنهم { فَكَيِّفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا السَّمَاءُ مَنفَطِيرٌ بِهِ } بينما يكون على المؤمنين يسيراً ، مع أنه عسير في ذاته لشدة هولته ، إلا أن □ ييسره على المؤمنين ، كما بين تعالى هذه الصورة بجانبها في قوله تعالى من سورة النمل : .

{ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرًّا السَّحَابِ } إلى قوله { مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ وَمَن }

جَاءَ بِالسِّيئَةِ فَكُذِّبَتْ ° وَجُوهُهُمْ ° فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .